

آخرين قالوا: إنها وقعت بعد غزوة بدر بستة أشهر .

غزوة بني النضير في سورة الحشر:

كان ابن عباس يُسمي سورة الحشر سورة بني النضير، وقال القمي في تفسيره (ج ٢: ص ٣٥٨): وأنزل الله فيهم: (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❖ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ❖ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَنَّتُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ❖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ❖ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَوْ نَوْمًا قَامْتُمْ عَلَيْهَا فِإِذَنْ لِلَّهِ وَلِيخْزِي الْفَاسِقِينَ).

(حشر) في الأصل تحريك جماعة وإخراجها من مقرها إلى ميدان حرب وما إلى ذلك، والمقصود منه هنا اجتماع وحركة المسلمين من المدينة إلى قلاع اليهود، أو اجتماع اليهود لمحاربة المسلمين، ولأن هذا أول اجتماع من نوعه فقد سُمي في القرآن الكريم بأول الحشر .

ويضيف البارئ عز وجل: (مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) لقد كانوا مغرورين وواثقين بأنفسهم إلى حد أنهم اعتمدوا على حصونهم المنيع، وقدرتهم المادية الظاهرية، إن التعبير الذي ورد في الآية يوضح لنا أن يهود بني النضير كانوا يتمتعون بإمكانات واسعة وتجهيزات وعدد كثيرة في المدينة، بحيث إنهم لم يصدقوا أنهم سيغلبون بهذه السهولة، وذلك ظنَّ الآخرين أيضا، ولأن الله سبحانه يريد أن يوضح للجميع أن لا قوة في الوجود تقاوم إرادته، فإن إخراج اليهود من أراضيهم وديارهم بدون حرب، هو دليل على قدرته سبحانه، وتحدي لليهود الذين ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله، ولذلك يضيف تعالى ويقول: (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) نعم، إن هذا الجيش غير المرئي هو جيش الخوف الذي يرسله الله تعالى في كثير من الحروب لمساعدة المؤمنين، فقد تملككم وهيمن على قلوبهم، وسلب منهم قدرة الحركة والمقاومة، لقد جهزوا وهيئوا أنفسهم لقتال المهاجرين والأنصار غافلين عن إرادة الله تعالى، حيث يرسل لهم جيشا من داخلهم ويجعلهم

في مأزق حرج إلى حد ينهمكون فيه بتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم من المسلمين .

والطريف هنا أن المسلمين كانوا يخربون الحصون من الخارج ليدخلوا إلى عمق قلاعهم، واليهود كانوا يخربونها من الداخل حتى لا يقع شيء مفيد منها بأيدي المسلمين، ونتيجة لهذا فقد عم الخراب التام جميع قلاعهم وحصونهم . وفي نهاية الآية يقول تعالى: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) أي خنوا الدروس والعظات من هذه الحوادث وتعاملوا معها بعين واقعية وتوغلوا إلى أعماقها. فَإِنَّ (أُولِي الْأَبْصَارِ) هم أشخاص لهم القابلية على الاستفادة من (العبر) والاتعاظ بها، يقول الإمام علي عليه السلام: السعيد من وعظ بغيره . (الكافي للشيخ الكليني ج ٨/ص ٧٤).

وعلى كل حال فإن مصير بني النضير مع تلك القدرة والعظمة والشوكة، وبتلك الصورة من الاستحكامات القوية، صار موضع عيرة حيث إنهم استسلموا لجماعة من المسلمين لا تقارن قواتها بقواتهم، وبدون مواجهة مسلحة، بحيث كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وتركوا بقية أموالهم للمسلمين، وتفرقوا في بقاع عديدة من العالم، في حين أن اليهود سكنوا في المدينة من أجل أن يدركوا النبي الموعود الذي ورد في كتبهم، ويكونون في الصف الأول من أعوانه كما ذكر المؤرخون ذلك. وبهذا الصدد نقرأ حديثا ورد عن الإمام الصادق حيث يقول: كان أكثر عبادة أبي ذر (رحمة الله عليه) خصلتين: التفكر والاعتبار. (الخصال للشيخ الصدوق ص ٤٢ ج ٣٣).

وتضيف الآية اللاحقة (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَنَّتُمْ فِي الدُّنْيَا). فإن الجلاء عن الوطن وترك قسم كبير من رؤوس الأموال التي جهدوا جهدا بليغا في الحصول عليها بأيدي أعدائهم، هو بعد ذاته أمر مؤلم لهم، إلا أنه لو لم يجل بهم هنا العذاب، لكان بانتظارهم عذاب آخر هو القتل أو الأسر بيد المسلمين... إلا أن الله سبحانه أراد لهم التيه في الأرض والتشرد في العالم، لأن هنا أشد ألما وأسى على نفوسهم، إذ كلما تذكروا أرضهم وديارهم ومزارعهم وبساتينهم التي أصبحت بيد المسلمين، وكيف أنهم شردوا منها بسبب نقضهم العهد ومؤامراتهم ضد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن ألمهم وحزنهم ومتاعبهم تتضاعف وخاصة على المستوى النفسي، نعم، إن الله أراد لهذه الطائفة المغرورة والخائنة، أن تتبلى بمثل هنا المصير البائس، وكان هنا عذابا دنيويا لهم،

إلا أن لهم جولة أخرى مع عذاب أشد وأخزى، ذلك هو عذاب الآخرة، حيث يضيف سبحانه في نهاية الآية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)، هذه عاقبتهم في الدنيا والآخرة، وهي درس بليغ لكل من أعرض عن الحق والعمل وركب هواه، وغرته الدنيا وأعماه حب ذاته .

وبما أن ذكر هذه الحادثة مضافا إلى تجسيد قدرة الله وصدق الدعوة المحمدية، فهي في نفس الوقت تمثل إنذارا وتنبها لكل من يروم القيام بأعمال مماثلة لفعل بني النضير، لنا ففي الآية الإلحقة يرشدنا سبحانه إلى هذا المعنى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

ومما ينبغي ذكره في هذه الحادثة أن الله عز وجل جعل أموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة يفعل بها ما يشاء ولكن النبي صلى الله عليه وآله قال للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة؟

فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزل قوله تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شِحْنًا نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٨ و ٩).

فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة (مجمع البيان ج ٩: ص ٣٩١).



قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186



قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

غزوة

بنب النضير

٢٢ ربيع الأول ٤ هـ



غزوة بني النضير

هناك بعض الأحداث الهامة، والمواقف الحساسة، التي تحمل في طياتها الكثير من العبر والعظات، وتترك لها أثراً بارزة على الفكر الإنساني، والرسالي، وعلى الفهم الدقيق للمسار العام في خط الرسالة.. هنا مضافاً إلى تأثيرها في البنية العقائدية، والسلوك الإنساني في مختلف مراحل وأدواره.

ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن غزوة بني النضير كانت واحدة من هذه الأحداث، فهي حدث فريد ومتميز، لا يقل في أهميته عن أي من الأحداث الكبرى في العهد النبوي الشريف.. ولا أدل على ذلك من أنهم يقولون: إن سورة الحشر - بتمامها - قد نزلت في هذه المناسبة.. وهذا يبرهن على الأهمية البالغة لهذه الواقعة، وعلى أنها كانت تمثل تحولاً كبيراً وإيجابياً، في مسيرة العمل والعاملين في سبيل الله سبحانه من جهة.. كما أنها تعتبر - من الجهة الأخرى - ضربة قاسية وقاصمة لأعداء الله، وأعداء دينه من الكافرين.. فقد كان اليهود - الذين كان بنو النضير أقوامهم شوكة، وأشدهم شكيمة، وأعزهم مكاناً - يعيشون في قلب الدولة الإسلامية، وحيث كان بإمكانهم الاطلاع على أدق دقائقها، وعلى حقائق خفاياها ونواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقي والدقيق لما تملكه من قدرات وإمكانات مادية ومعنوية. كما أنهم - أعني اليهود - كانوا يملكون أزرعاً ظاهرة وخفية، ممتدة هنا وهناك، وفي عمق المجتمع الإسلامي الجديد، ثم إن لليهود الهيمنة الروحية والثقافية والعلمية على الأكثرية الساحقة.

هنا.. وعلينا أن لا ننسى أن اليهود كانوا يملكون قوة كبيرة في حساب الثروات والأموال.. بالإضافة إلى ما كان لليهود من ديون على الناس، قد بلغت حداً جعلهم يجدون فيها حائلاً دون تسهيل أمر رحيلهم..

وعلينا أن لا ننسى أيضاً: أن هذه الضربة القاسية والقاصمة التي تلقاها اليهود عامة، وبنو النضير بصورة خاصة، إنما تمثل إضعافاً لواحد من أهم مصادر القوة والتحدي لدى أعداء الإسلام والمسلمين، ولا سيما بالنسبة إلى المشركين، وكل من يتعاطف معهم من القبائل والطوائف في المنطقة العربية، حيث خسروا واحداً من أهم حلفائهم، وذوي القوة والنفوذ فيهم.

اليهود في المدينة

كان في المدينة ثلاث قبائل من اليهود وهم: «بنو النضير»

و «بنو قريظة» و «بنو قينقاع»، ويُذكر أنهم لم يكونوا من أهل الحجاز أصلاً، وإنما قدموا إليها واستقرّوا فيها، وذلك لما قرأوه في كتبهم العقائدية من قرب ظهور نبي في أرض المدينة، حيث كانوا بانتظار هنا الظهور العظيم، وعندما هاجر الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة عقد معهم عهداً بعدم تعرض كل منهما للآخر، إلا أنهم كلما وجدوا فرصة مناسبة لم يألوا جهداً في نقض العهد، ومن جملة هؤلاء اليهود (بنو النضير)، فقد تصالح معهم النبي ﷺ لَمَّا دخل المدينة على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه.

مواقف بني النضير ونقضهم للعهد

المواقف النبوية: لما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين قالوا: والله إنه للنبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا ﷺ غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة وهُزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد، فذهب «كعب بن الأشرف زعيم قبيلة بني النضير» مع أربعين فارساً من اليهود إلى مكة، وهناك عقد مع قريش حلفاً لقتال محمد ﷺ، وجاء أبو سفيان مع أربعين شخصاً، وكعب بن الأشرف مع أربعين نفراً من اليهود، ودخلا معاً إلى المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ووثقوا العهد في داخل الكعبة ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة، فعلم النبي ﷺ بذلك عن طريق الوحي.

والمواقف اللخوية: هي أن رسول الله ﷺ دخل يوماً مع شيوخ الصحابة وكبارهم إلى حي بني النضير، وذلك بحجة استقرار مبلغ من المال منهم كدية لقتيلين من طائفة بني عامر، قتلتهما (عمرو بن أمية) أحد المسلمين، وربما كان الهدف من ذلك هو معرفة أخبار اليهود عن قرب حتى لا يُباغت المسلمون بذلك، وبينما كان رسول الله ﷺ يتحدث مع كعب بن الأشرف إذ حيكت مؤامرة يهودية لاغتيال رسول الله ﷺ وتنادى القوم: إنكم لا تحصلون على هذا الرجل بمثل هذه الحالة وهاهو قد جلس بالقرب من حائطكم، فليذهب أحدكم إلى السطح ويرميه بحجر عظيم ويريحنا منه، فقام «عمرو بن جحاش» وأبدى استعداده لتنفيذ الأمر، وذهب إلى السطح لتنفيذ عمله الإجرامي، إلا أن رسول الله ﷺ علم عن طريق الوحي بذلك، فقتل راجعاً إلى المدينة دون أن يتحدث بحدث مع أصحابه، إلا أن الصحابة تصوروا أن الرسول ﷺ سيعود مرة أخرى، ولما عرفوا فيما بعد أن الرسول ﷺ في المدينة عاد الصحابة إليها أيضاً.

وهنا أصبح من المسلم لدى رسول الله ﷺ نقض اليهود للعهد، فأعطى أمراً للاستعداد والتهيؤ لقتالهم، وجاء في بعض الروايات أيضاً أن أحد شعراء بني النضير هجا رسول الله ﷺ بشعر يتضمن مسابكرامة الرسول ﷺ وهذا دليل آخر لنقضهم العهد.

مواجهة المسلمين لبني النضير وحصارهم

وبدأت خطة المسلمين في مواجهة اليهود وكانت الخطوة الأولى أن أمر رسول الله ﷺ (محمد بن سلمة) أن يقتل كعب بن الأشرف زعيم اليهود، وقد كان أخاه من الرضاعة، وقد نفذ هذا العمل وقتله.

إن قتل كعب بن الأشرف أوجد هزة وتخلخلا في صفوف اليهود، عند ذلك أعطى رسول الله ﷺ أمراً للمسلمين أن يتحركوا لقتال هذه الفئة الباغية الناقضة للعهد، وعندما علم اليهود بهذا لجئوا إلى قلاعهم المحكمة وحصونهم القوية، وأحكموا الأبواب، وفي هذه الأثناء أمر الرسول ﷺ بقطع أشجار النخيل القريبة من القلاع لأسباب عدة:

منها: أن حب اليهود لأموالهم قد يخرجهم من قلاعهم بعد رؤية تلف ممتلكاتهم، وبالتالي يكون اشتباك المسلمين معهم مباشرة، كما يوجد احتمال آخر، وهو أن هذه الأشجار كانت تضايق المسلمين في مناوراتهم مع اليهود قرب قلاعهم وكان لابد من أن تطلع.

وعلى كل حال، فقد ارتفع صوت اليهود عندما شعروا بالضيق، وهم محاصرون في حصونهم.. فقالوا: يا محمد، لقد كنت تنهى عن هذا، فما الذي حدا بك لتأمر قومك بقطع نخيلنا؟

فنزل قوله تعالى: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَضِيبٍ أَوْ تَرْكُومٍ قَائِمَةً عَلَى أَسْوَلِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) (سورة الحشر/ ٥) وبين بأن هذا العمل لم يكن عن هوى نفس بل هو أمر من الله (عز وجل) صدر في هذا المجال، وفي دائرة محدودة لكي لا تكون الخسائر فادحة، وهنا العمل كان استثناء من الأحكام الإسلامية الأولية التي تنهى عن قطع الأشجار وقتل الحيوانات وتدمير وحرق المزارع... وعادة ما توجد استثناءات جزئية في كل قانون، كما في جواز أكل لحم الميت عند الضرورة القصوى والإجبار. (الأمل ج ١٨/ص ١٦٣-١٧٤).

حور أمير المؤمنين ﷺ في غزوة بني النضير

ينقل الشيخ المفيد في (الإرشاد، ج ١/ص ٩٢) أنه لما توجه رسول الله ﷺ إلى بني النضير، عمل على حصارهم، فضرب

قبته في أقصى بني حطمة [حطمة من الأنصار بنو عبد الله بن مالك بن أوس] من البطحاء، فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي ﷺ أن تحول قبته إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار، فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى علياً؟ فقال ﷺ: ((أراه في بعض ما يصلح شأنكم)) فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي ﷺ، وكان يقال له عزورا، فطرحه بين يدي النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: ((كيف صنعت؟))، فقال ﷺ: ((إني رأيت هنا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام، يطلب منا غرة، فأقبل مُصلتا سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود، فشددت عليه فقتلته، وأقلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فابعت معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم)). فبعث رسول الله ﷺ معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن، فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلى النبي ﷺ فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

وفيما كان من أمير المؤمنين ﷺ في هذه الغزوة، وقتله اليهودي، ومجيئه إلى النبي ﷺ برؤوس التسعة النفر، يقول الشاعر:

لله أي كريمة أبلتها

ببني النضير والنفوس تطلع

أردى رئيسهم وآب بتسعة

طورا يشلهم (أي يطردهم) وطورا يدفع وقال رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين ﷺ في يوم بني النضير: ((عليّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخنول من خذله)). (كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣)

انتهاء المحاصرة:

استمرت المحاصرة لعدة أيام، ومنعا لسفك الدماء اقترح رسول الله ﷺ عليهم أن يتركوا ديارهم وأراضيهم ويرحلوا من المدينة، فوافقوا على هذا وحملوا مقداراً من أموالهم تاركين القسم الآخر.. واستقر قسم منهم في «أثرعات الشام»، وقليل منهم في «خبيبر»، وجماعة ثالثة في «الحيرة»، وتركوا بقية أموالهم وأراضيهم وبساتينهم وبيوتهم بيد المسلمين بعد أن قاموا بتخريب ما يمكن لدى خروجهم منها.

وقد حدثت هذه الحادثة بعد غزوة (أحد) بستة أشهر، إلا أن